الحركة الطلابية فى مصر

"فبـــراير١٩٦٨"

الدكتور/ سيد عيسى محمد

الحركة الطلابية فى مصر
"فبـــراير١٩٦٨"

كان للطلاب الكلمة العليا فى كثير من القضايا والأحداث، ومثلوا مؤشراً للحركة الوطنية فى كثير من المواقف التاريخية والسياسية من أجل تحرير بلادهم من المحتل وتغيير صورة الوطن للأفضل وتصحيح الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولذلك دفع الطلاب ثمن نضالهم من دمائهم وسنوات عمرهم التى ضاعت فى غياهب السجون والمعتقلات ، واستطاعوا تغيير خريطة الوطن ومصيره ، وفرضوا على الأنظمة الحاكمة أن تسمع لهم وتنفذ مطالبهم، وأثبتوا بأنهم خير قادة للوطن فى الظروف الصعبة.

نشأة الحركة الطلابية

تطورت الحركة الطلابية بعد الحرب العالمية الاولى عندما بادر طلاب مدرسة الحقوق بمظاهرات١٩١٩ عندما رفض وينجت ـ المندوب السامى البريطانى ـ بإعطاء ترخيص للوفد المصرى بالسفر إلى باريس ، لعرض قضية مصر فى مؤتمر فرساى الذى سيتقرر فيه مصير الدول والشعوب ؛ خاصة بعد أن أكد ويلسون الرئيس الأمريكى على المبادئ الأربعة عشر، ومنها مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وأبدى وينجت دهشته من أن يتكلم ثلاثة أشخاص عن أمة بأسرها، دون أن يكون لهم الحق فى ذلك ، ورفض السماح لسعد بالسفر بحجة أنه لا يعبر عن الشعب وإنما يعبر عن الباشوات ، فقرر سعد جمع توقيعات من أعضاء الهيئات النيابية والعمد والأعيان ، وأعضاء المجالس المحلية بدعوى أنهم يمثلون الأمة[١].

ولكن الطلاب كان لهم رأى آخر حيث قرروا توزيع أنفسهم إلى لجان عمل تجوب المحافظات لتجمع توقيعات من كافة أبناء الشعب المصرى عمال فلاحين وموظفين ، ورفض المندوب السامى مرة أخرى السماح للوفد بالسفر، فنشط سعد فى سلسلة من الاجتماعات والخطب والمؤتمرات[٢].

وكان الطلاب يتحركون معه فى كل مكان، فتحول سعد من وكيل للجمعية التشريعية إلى زعيم للأمة، فأصدرت القوات البريطانية يوم ٨ مارس ١٩١٩ قراراً بالقبض على سعد وثلاثة من زملائه ؛ محمد محمود، و إسماعيل صدقى، وحمد الباسل، وتم احتجازهم فى ثكنة قصر النيل، وفى يوم ٩ مارس نقلوا إلى بورسعيد، ومن هناك أقلتهم الباخرة إلى جزيرة مالطة منفى ومعتقل[٣].

بدأ سخط الشعب يتجلى فى إضراب الطلبة عن تلقى الدروس يوم ٩ مارس، وفى اليوم التالى كان الإضراب عاماً ، فقد امتد إلى بقية الطوائف أيام ١١ ، ١٢ ،١٣ ،١٤ من الشهر نفسه ، حيث أضرب المحامون وعمال الترام والسيارات ، فتعطلت المواصلات فى جميع أنحاء القاهرة [٤].

وبعد ثورة ١٩١٩ أصدرت بريطانيا تصريح ٢٨ فبراير١٩٢٢،وكان ذلك تتويجاً لمرحلة من الكفاح الشعبى، وفى هذا التصريح اعترفت انجلترا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، وإن كان استقلالا صورياً ولم يكن فعلياً حيث تمسكت بريطانيا بالتحفظات الأربعة التى من خلالها تدير شئون مصر الداخلية[٥].

ثم صدر دستور ١٩٢٣ فى ١٩ أبريل وكان يحد بشكل كبيرمن اختصاصات الملك، وجرت الانتخابات التى لعب فيها الطلبة دوراً كبيراً فى فوز سعد ومن رشحهم بـ ٢٠٠ مقعد من أصل ٢٤٠ ، وتولى سعد رئاسة الحكومة ومن ثم أفتتح البرلمان فى ١٥ مارس ١٩٢٤ ,وأقسم الملك اليمين الدستورى، وكان ذلك ثمرة الحركة الطلابية لثورة ١٩١٩ [٦].

وتم تأسيس الجامعة المصرية ، بعد أن تبرعت الأميرة فاطمة بنت الخديوى إسماعيل بجزء من أراضيها لبناء الجامعة المصرية ، وقد نجح بعض الطلبة فى الحصول على تبرعات من أغلب فئات الشعب المصرى ، وكان ذلك يمثل تحديا كبيرًا بين الطلبة وسلطات سياسة الاحتلال التى كانت تريد أن تعرقل مشروع الجامعة خوفاً من أن يتسلح معظم أبناء الشعب المصرى بالعلم، ويعرفون حقوقهم وواجباتهم [٧].

وكان هذا يمثل للطلبة معركة مصيرية من أجل بناء مستقبل مصر ، وأعتمد قاسم أمين على الطلبة فى تنشيط الدعاية لبناء الجامعة ؛ لأنهم كانوا طوق النجاة لمصر ، وقد ذكر قاسم أمين فى أحد المواقف " أن صحوة مصر ستتحقق من خلال تعليم أبنائها ، لأنهم هم المستقبل " ، بفضل جهود قاسم أمين وأحمد لطفى السيد وغيرهما من رواد فكر مصر أنشئت الجامعة الأهلية فى عام ١٩٢٥ وانضمام بعض المدارس العليا إليها ، وجاء الطلاب وأساتذتهم يحملون معهم خبرات النضال الوطنى، وبصفة خاصة طلبة الحقوق الذين كانوا من أنشط العناصر الطلابية فى العمل السياسى الوطنى[٨] .

انتفاضة الطلبة فى ١٩٣٥ وتشكيل الجبهة الوطنية

ظل طلبة الجامعة يمارسون دورهم فى العمل السياسى الوطنى بصورة أو بأخرى طوال تلك الحقبة ، وفى ظل هذه الظروف كان الأمر يتطلب توحيد صفوف القوى السياسية المختلفة وراء المطالبة باستعادة الدستور، وتحديد العلاقات مع بريطانيا من خلال التفاوض حول معاهدة تنهى وضع مصر المعلق منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢. غير أن الأحزاب السياسية شغلت بصراعاتها، وراح كل منها يزاحم الآخر فى تزعم الحركة السياسية، وسعى كل منها لاستقطاب الطلبة إلى جانبه ، فبذل الوفد والأحرارالدستوريين الجهد الأكبر فى هذا المنوال[٩].

وتطورت الأحداث بعد ذلك بالشكل الذى أدى إلى إعادة العمل بدستور ١٩٢٣، ووصول حزب الوفد إلى الحكم، وبذلك كان طلاب الجامعة قد نجحوا فى تحريك الموقف السياسى بصورة إيجابية، وإن كانت الظروف الدولية قد دفعت بريطانيا إلى تهدئة الأمور حتى تستطيع إبرام معاهدة مع وزارة مصرية تحظى بتأييد شعبى، فقد ظل إصدار أو تعديل القوانين الحاكمة والمنظمة للنشاط الطلابى أحد الأدوات المؤثرة التى دأب نظام الحكم فى مصر على استخدامها فى حصار الحركة الطلابية وتحجيم دورها والحد من نشاطها وتأثيرها[٢٣].

انتفاضة الطلبة فى ١٩٤٦ واللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

عانت مصر من أزمة اقتصادية خانقة؛ نتيجة لظروف الحرب التى حملت مصرأعباء فوق طاقتها.

فخلال الحرب العالمية الثانية، كانت الأحكام العرفية تحول دون قيام الطلاب بنشاط سياسى معارض بصورة علنية، ومن ثم بدأ النشاط السرى يتخذ مواقعه بين طلاب الجامعة، وأصبحت المنشورات أداة النشاط للتعبير عن المواقف السياسية لهم ، بعد أن فقدوا روح الاتحاد التى جمعت بين صفوفهم فى انتفاضة ١٩٣٥، غير أنهم عادوا فى نهاية الحرب العالمية الثانية يفرضون وجودهم على الساحة السياسية مطالبين بالاستقلال الوطنى، والعدالة الاجتماعية معا من خلال صيغة تنظيمية جديدة طرحت كبديل للقيادات السياسية التقليدية(١١).

وكانت الحكومة المصرية قد أرسلت مذكرة رسمية إلى الحكومة البريطانية تدعوها إلى الدخول فى مفاوضات لإعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦، فتأخر وصول رد بريطانيا مما أثار القلاقل السياسية، وعندما تسلمت الحكومة المصرية الرد فى ٢٦ يناير ١٩٤٦، جاء الرد خالياً من الإشارة إلى موضوع الجلاء، واقتصر على مراجعة المعاهدة فى ضوء التجارب المشتركة، مع مراعاة ميثاق الأمم المتحدة(١٢).

وأصدرت اللجنة التنفيذية للطلبة بياناً أبدت فيه رأيها فى مذكرة الحكومة المصرية وانتقدت تدويلها للقضية، كما انتقدت الرد البريطانى على المذكرة المصرية، وراحت تثير الشبهات حول نوايا بريطانيا، وطالبت الحكومة بعدم الدخول في مفاوضات إلا على أساس الجلاء، على أن يصدر بذلك تصريح رسمي من جانب حكومة لندن، وطالبت الأحزاب المصرية بتحديد مواقفها في حالة رفض الحكومة البريطانية مبدأ التفاوض على أساس الجلاء ووحدة وادي النيل(١٣).

ثم وجهت اللجنة التنفيذية الدعوة إلى الطلبة لعقد مؤتمر عام فى ٩ فبراير١٩٤٦، للنظر في الموقف القائم، فعقد اجتماع كبير داخل الحرم الجامعي، انتهى بإصدار بيان موجه إلى الملك طالبوا فيه الحكومة برفض الرد البريطاني رفضاً قوياً، وعدم الدخول في مفاوضات مع بريطانيا إلا بعد إصدارها تصريح رسمي تعترف فيه بحق مصر في الجلاء ووحدة وادي النيل، وطالبوا بسحب "عبد الحميد بدوي" باشا من وفد مصر فى الأمم المتحدة؛ بسب تصريحه الذي أدى إلى تدويل القضية المصرية مما أعتبره الطلاب ضاراً بالقضية الوطنية(١٤) .

وبعد المؤتمر قرر الطلبة التوجه في مظاهرة كبرى إلى قصرعابدين لرفع مطالبهم إلى الملك، وكان البوليس قد أعد للأمر عدته منذ أعلنت اللجنة عن عقد المؤتمر، فما كاد الطلاب يتحركون على كوبري عباس حتى فتحه البوليس وهاجمهم من الخلف فأصيب منهم الكثير، فمنهم من مات غريقاً ومنهم من أستشهد على أيدي رصاص البوليس ، وأدى هذا التصرف من قبل الحكومة إلى استمرار المظاهرات في اليوم التالي ١٠ فبراير ١٩٤٦، وامتدادها إلى الإسكندرية والزقازيق والمنصورة وأسيوط ، وتصدى لها البوليس بالقوة لتقع المزيد من الإصابات بين المتظاهرين الذين خرجوا فى تلك المدن احتجاجاً على مأساة كوبري عباس(١٥).

وأرسلت اللجنة التنفيذية للطلبة مذكرة احتجاج إلى الملك على مواجهة الحكومة لهم بالعنف وعلى ما حدث يوم ٩ فبراير، وطالبوا بأن تصر الحكومة المصرية على رفض التفاوض إلا على أساس الجلاء ووحدة وادي النيل دون قيد أو شرط، وحل المشاكل الاقتصادية حلاً عاجلاً، والتوجه إلى مجلس الأمن لعرض قضية مصر في حالة رفض بريطانيا لمبدأ الجلاء، على أن تطالب الدول العربية بتأييد مصر تأييداً رسمياً(١٦).

وفى يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ استجاب الشعب للجنة الوطنية للطلبة والعمال

استجابة كاملة، وتعطلت حركة المواصلات وتوقفت جميع المصانع والمحال التجارية عن العمل، وأقفلت المدارس والكليات، وخرجت من الأزهر مظاهرة كبرى شاركت فيها الجماهير واتجهت إلى ميدان الأوبرا، حيث عقد مؤتمر شعبي اتخذ فيه قرارات بمقاطعة المفاوضات وأساليب المساومة، والتمسك بالجلاء عن وادي النيل، وإلغاء معاهدة ١٩٣٦، واتفاقية ١٨٩٩الخاصة بالسودان، وعرض القضية على مجلس الأمن(١٧).

ثم زحفت المظاهرة الكبرى إلى ميدان الاسماعيلية (التحرير الآن) حيث الثكنات البريطانية (موقع فندق النيل هيلتون والمتحف المصري والجامعة العربية)، واتجه قسم منها إلى ساحة عابدين. وكانت المظاهرات تسير في نظام تام دون اعتداء على أحد ودون التعرّض للممتلكات أو جنوح نحو التخريب، فإذا ببعض السيارات العسكرية البريطانية المسلحة تخترق الميدان وسط الجماهير فجأة لتدهم بعضهم تحت عجلاتها. وكان الرد الطبيعي من جانب المتظاهرين رجم الثكنات البريطانية بالحجارة، فرد الجنود البريطانيون بإطلاق الرصاص. فكانت مذبحة أثارت ثائرة الجماهير، وسقط فيها المئات من الطلبة، كما قام بعض الجنود البريطانيين بسحل بعض الطلبة بعد أن تأكدوا من موتهم، فأشعل المصريون النيران فى المعسكر الانجليزى بالميدان (موقع مجمع التحرير الآن)، وبعض المنشات العسكرية البريطانية الأخرى، للتنفيس عن غضبهم إزاء ما ارتكبه الجنود البريطانيون ضد الطلبة، وتحوّل الموقف إلى ثورة طلابية كبرى في أنحاء القطر المصرى(١٨).

وظلت المظاهرات تنتقل إلى جميع أحياء القاهرة تلقائياً دون استثناء، كما انتشرت في الإسكندرية والمدن الأخرى والوجه البحري والقبلي، حيث خرجت المدارس والمعاهد تندد بسياسية الاحتلال وحكومة إسماعيل صدقي و حينذاك اتخذت المظاهرات طابع العنف(١٩) .

وطلبت الحكومة البريطانية من الحكومة المصرية رد فعل تجاه ما اقتُرِفَ

ضد القوات البريطانية من قبل الشعب المصري، وإزاء ذلك أعلن صدقي باشا بياناً أثار ثائرة الطلبة والعمال على وجه الخصوص، لوصفه العمال "بالدهماء" واتهام الطلبة "بالتخريب"؛ وذلك لإرضاء السفير البريطانى، فأصدرت "اللجنة الوطنية للطلبة والعمال" بياناً استنكرت فيه هذا الوصف والاتهام، واستمرت في تنظيم المؤتمرات والمظاهرات فى الأيام التالية، فصدرت الصحف في يوم ٢٥ فبراير متشحة بالسواد، وأعلنت اللجنة أن يوم ٤ مارس يوم الحداد والإضراب العام فاستجاب الجميع للدعوة[٢٠].

واحتجبت بعض الصحف عن الصدور في ذلك اليوم، وخلت الشوارع إلا من المتظاهرين وأُغلقت المصانع والمحلات التجارية والمدارس والجامعة. وحدث صدام بالإسكندرية بين الجنود البريطانيين والمتظاهرين سقط فيه ٢٨ قتيلاً بينما جُرح ٤٣٢ متظاهراً، وقُتل جنديان بريطانيان وجُرح أربعة جنود بريطانيين وطلبت الحكومة البريطانية من نظيرتها المصرية تفسيراً لما يحدث، وتقديم الجُناة الذين قتلوا الجنود البريطانيين للمحكمة العسكرية[٢١].

وفى تلك الأثناء تأزم الموقف فى الداخل، إذ اندلعت مظاهرات الاحتجاج من الطلبة والعمال، وخاصة الموظفين الذين طالبوا بتحسين المرتبات، وكان صوت الطلبة يُعبّرعنه يومياً من خلال مسيرات ومظاهرات واحتجاجات وإضرابات، واستمر الوضع هكذا حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ووقف الطلبة خلفها مؤيدين لمبادئها وبرامجها من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية[٢٢].

وفي أعقاب قيام حركة الجيش في يوليو١٩٥٢، وإبان أزمة مارس ١٩٥٤، انقسم الطلبة ما بين الأحزاب والقوى الوطنية المطالبة بعودة الديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته، وهو مادفع قادة الثورة إلى تعيين" محمد عوض محمد " الذى قام بإبعاد ستين عضواً من أعضاء هيئات التدريس بجامعتي القاهرة والاسكندرية عن العمل بالجامعة؛ نتيجة لاعتصامهم إبان أزمة مارس، ولأنهم كانوا يمثلون الأحزاب السياسية التي تطالب الجيش بالعودة إلى ثكناته

العسكرية؛ وبناء على ذلك صدر القانون رقم ٥٠٤ لسنة ١٩٥٤ الذي أحكم سيطرة النظام على العمل الطلابى، وأوقف انتخابات الاتحادات الطلابية؛ حيث أنها كانت تمثل انتخابات طلابية حزبية، وفى النهاية كُلف الصاغ "كمال الدين حسين" بأن يكون وزيراً للتعليم فى ٢٨ يونيو ١٩٥٦ خلفاً لمحمد عوض لكى يقوم بدور التثقيف الوطنى السياسى للطلبة[٢٣].

واستمرت الأوضاع فى مصر دون أن يطرأ عليها أى تغييرمن قبل الطلبة للقيام بالمظاهرات أو احتجاجات ضد سلطة عبد الناصر، بل أنهم ارتموا فى أحضان حركة الطليعة والاتحاد الاشتراكى حباً فى عبد الناصر إلى أن جاءت النكسة وتداعياتها على الشعب المصرى بأسره شباب ورجال ونساء، ومن هنا انتفض الطلبة وتحركوا لتعبئة الرأى العام ضد أجهزة الدولة وما يقترفه نظام يوليو من تراجع وانتكاسة فى حق شعب مصر، وكانت انتفاضة فبراير ١٩٦٨ أولى الانتفاضات ضد الحكومة.

انتفاضة فبراير١٩٦٨:

أثرت نكسة ١٩٦٧ فى الشعب المصرى، وخاصة جيل الشباب الذى تحمّل المسئولية، فلم يكن الأمر بالنسبة لهذا الجيل مجرد مسألة عسكرية أو حرب مألوفة تحتمل النصر أو الهزيمة؛ حيث مثّلت الهزيمة له صدمة نفسية غيّرت مسار حياته، بعد أن كان يعيش فى أمجاد ثورة ٢٣ يوليو وإنجازاتها، وكان يتغنى بأناشيدها وهتافاتها لعبد الناصر فى مؤسسات التعليم والتثقيف السياسى، والتنظيم السياسى(الاتحاد الاشتراكى العربى)[٢٤]. لكنه فوجئ بأن كل ما يتمسك به من مبادئ الثورة وفلسفتها قد تحول إلى سراب ، وقد استفاق الشباب على الحالة العامة لمصر، وبدأ يعارض حكومة عبد الناصر[٢٥]، على الرغم من أن الحالة العامة وقتئذ شملت إنجازات مختلفة قبل الهزيمة فى مجالات التنمية الاقتصادية والتصنيع والدفاع عن القومية العربية فى مواجهة القوى الدولية (الأحلاف)، وتأميم قناة السويس وكسر احتكارالغرب للسلاح عن الدول العربية،

وتمصير الاقتصاد المصرى، وتقريب الفوارق الاجتماعية بين الفقراء والأغنياء، وبخاصة توسيع قاعدة الطبقة الوسطى، ولكن فى المقابل كان الحُكم تحت صفوة عسكرية برئاسة عبد الحكيم عامر وشمس بدران[٢٦].

والحقيقة أن عبد الناصر لم يفقد شعبيته فى صفوف الشباب؛ نتيجة لإنجازاته الاقتصادية والاجتماعية وأهمها مجانية التعليم، وتعيين الخريجين وتحسين أوضاع الطلبة فى المدارس والجامعات؛ بل أنه ساهم فى وجود حراك اجتماعى لبناء طبقة وسطى جديدة يغلب عليها طابع الشباب[٢٧].

وكانت تداعيات نكسة ١٩٦٧ قد أدت إلى تبرم الشباب من الممارسات السلطوية لأجهزة الدولة على أنشطتهم الاجتماعية والسياسية سواء فى المدارس والجامعات والشوارع ومؤسسات العمل والأندية والنقابات،ومن ثم بدأ الشباب ينتقد الوضع الداخلى، على الرغم من أن مصر لم تعرف تمرداً شبابياً ملموساً فى الفترة الممتدة بين عامى ١٩٥٤ و ١٩٦٧[٢٨].

كان أبناء جيل ١٩٦٧ إما طلاباً فى المدارس الثانوية والجامعات، وإما يقطعون أولى خطوات الطريق فى سوق العمل. ولعل الذين قد تخرجوا آنذاك لم يكونوا قد نزلوا إلى سوق العمل بعد؛ لأنه كان لزاماً عليهم أولاً قضاء فترة الخدمة العسكرية[٢٩]. وهؤلاء هم أكثر من تجرّع مرارة الهزيمة من أبناء هذا الجيل، حيث قاتل منهم من قاتل، وأُسر من أُسر، واستُشهد من استُشهد، أما الطلاب الذين ربما كانوا متطوعين فى الدفاع المدنى وقت الحرب ، فسرعان ما أصبحوا خريجين واتجهوا رأساً إلى الجبهة ليشكلوا عماد الجيش الجديد من المتعلمين الذين يريدون أن يضحوا بحياتهم لإزالة آثار العدوان، وقضى أغلب هؤلاء سنوات طويلة فى الخدمة العسكرية هى أضعاف المدة الواجبة أصلاً؛ وكان لذلك ثمنه الاجتماعى بالنسبة لأسرهم و مصادر رزقهم ومستقبلهم[٣٠].

ففى الأيام التالية للنكسة خرج الشباب مع زمرة المواطنين يعلنون فى ٩ ، ١٠ يونيو رفضهم للهزيمة وتمسكهم بجمال عبد الناصر وآلياته السياسية فى

الحكم[٣١]؛ لما يمثله عبد الناصر بالنسبة لهم من مكانة عالية فى نفوسهم ، بالإضافة إلى رفضهم قبول الهزيمة وإبداء استعدادهم للعمل على إعادة كرامة الوطن، وتحمّل المسئولية لتصحيح الأوضاع الداخلية ومحو الهزيمة[٣٢]. وكان الشباب يتنافسون ويتحاورون فيما بينهم فى المدارس والجامعات والأندية والمقاهى حول أسباب الهزيمة وأبعادها[٣٣]، ولكن تبلور فيما بعد امتعاض واستهجان من الشباب على نظام جمال عبد الناصر، ومن ثم شاركوا فى الانتفاضة مع العمال احتجاجاً على تردى الأوضاع السياسية فى مصر[٣٤].

مظاهرات عمال مصانع حلوان :

وعند نهاية شهر يناير ١٩٦٨ صدر حكم المجلس العسكرى ضد رجال الطيران وعلى رأسهم قائد السلاح السابق الفريق صدقى محمود[٣٥]، وأدرك الشعب أن المحاكمة فى واقع الأمر ليست سوى امتصاص غضب الجماهير، والإلقاء بمسئولية الهزيمة بأكملها على عدد محدود من ضباط الطيران وإبعادها عن المسئولين الحقيقيين، الذين زجّوا بالبلاد فى حرب لم يتم الإعداد لها إعدادا جدياً، كما أدرك الشعب أن المسئولية إذا كانت تقع على رجال الطيران لاقتضى ذلك الإطاحة بالرؤوس وعدم الاكتفاء بعقوبة الأشغال الشاقة[٣٦].

ووصل إلى علم السلطات الأمنية أن عمال مصانع الطائرات بحلوان ، اعتزموا الخروج فى يوم ٢١ فبراير ١٩٦٨ فى مظاهرة للاحتجاج على تلك الأحكام ، وقد عُقد اجتماع فى يوم ٢٠ فبرايرقبل المظاهرة بتكليف من الاتحاد الاشتراكى لاحتواء الأزمة الطلابية قبل أن تتفاقم، حضرالاجتماع: السيد عبد اللطيف مليجى بلطية عضو مجلس الأمة والمسئول السياسى لمنطقة جنوب القاهرة بالاتحاد الاشتراكى، السيد عبد الحميد فريد أمين الاتحاد بمحافظة القاهرة، وتداول المجتمعون فى الأمر، وانتهوا إلى تكليف السيدين محمد حلمى أمين المكتب التنفيذى لقسم حلوان ومحمد وهدان عضو المكتب بالحضور فى صباح يوم٢١ إلى مقر المكتب التنفيذى؛ لمنع خروج المظاهرة إن أمكن أو على الأقل السيطرة عليها[٣٧] من خلال المماطلة فى تلبية مطالبهم وتهدئة نفوس

العمال بأن الدولة تعمل فى صالح العمال والوطن، وذلك لامتصاص غضب المتظاهرين وتوجيههم وجهة غير عدائية للحكومة، والعمل على تفريق حشود المتظاهرين[٣٨].

وفى صباح يوم ٢١ فبراير تجمع عمال مصنع ٣٦ الحربى وانضم إليهم عمال المصنعين ١٣٥، ٣٦٠ وأخذوا يرددون نداءات تعبّر عن عدم الرضاء بالأحكام الصادرة فيما سمى" قضية الطيران" ، وأصّر المجتمعون على الخروج فى مظاهرة، وعلم بذلك كلاً من أمين وعضو المكتب التنفيذى، وأن وجهة المظاهرة سوف تكون مجلس الأمة ومنزل رئيس الجمهورية، فاتصلا وغيرهم من رجال الاتحاد الاشتراكى بزعماء المظاهرة ، وحاولوا إقناعهم بالتوجه إلى مكتب الاتحاد الاشتراكى بحلوان لإعلان ما يريدون من قرارات ، وأثناء المظاهرة وعند وصولها إلى قسم الشرطة تصدّى لها مأمور القسم ـ بناء على أوامر من رؤسائه ـ مع بعض الجنود بالعصى وبعض رجال المطافى بخراطيم المياه، وأخذ المتظاهرون يلقون بالطوب والأحجار وأُطلقت الأعيرة النارية، فأصيب عدد من الفريقين، وقُبض على بعض المتظاهرين[٣٩].

وتصادف أن يوم ٢١ فبراير هو يوم الطالب المصرى، الذى يحتفل به الطلبة سنوياً فى ذكرى يوم الخميس الدامى فى عام ١٩٤٦ [٤٠]. وتحولت الاحتفالات بذلك اليوم إلى ردود فعل من الطلبة ضد ما ارتكبته شرطة حلوان ضد العمال، وتجاهل وزير الداخلية شعراوى جمعة تقديم الأسى والعزاء لأسر اثنين من العمال لقيا مصرعهما على يد قوات الشرطة[٤١]، بالإضافة إلى تجاهل سلطات الدولة لمظاهرة العمال كما أن أجهزة الأمن تعقّبت بعض العمال وقبضت عليهم من منازلهم وأودعتهم فى المعتقلات، كأن المسألة انتهت ، ولكن مظاهرة العمال كان لها تداعيات على الطلبة، وعلى مايحدث فى البلاد من ظلم وقهر وفساد[٤٢]، واحتج الطلبة فى جامعات مصر كلها يومى ٢٢ و٢٣ من نفس الشهر على الوضع السياسى الذى تمر به البلاد ، مما جعل المسئولون فى الجامعات يحاولون تهدئة الطلبة[٤٣].

وفى يوم ٢٤ خرج الطلبة للتظاهر وشارك فيها الآلاف من طلبة الجامعات الكبرى فى القاهرة والإسكندرية وأسيوط والمنصورة، ولأول مرة منذ عام ١٩٥٤ كان وجودهم فى شوارع القاهرة والإسكندرية والوجهين البحرى والقبلى ملموساً، فظلوا على تلك الحالة جنباً إلى جنب مع زملائهم المتظاهرين من المناطق الصناعية والمناطق الأخرى، حتى ٢٧ فبراير ونتج عن انتفاضة القاهرة وحدها مصرع أربعة من العمال، وإصابة ٧٧ من المواطنين و ١٤٦ من رجال الشرطة، وألقى القبض على ٦٥٣ شخصاً، بالإضافة إلى تدمير بعض المركبات والمبانى فى العاصمة(٤٤).

مظاهرات طلاب الجامعة :

وكان لطلبة كلية الهندسة بجامعة القاهرة الدور الأكبر، إذ اتخذت المبادرة فى الخروج بمظاهرة والسير بها حتى مجلس الأمة، وقد عجز الأمن عن منعها أو حتى تغيير مسارها(٤٥). وقد شكلت مجموعة من طلبة الهندسة وفد يتكون من الطلبة المتظاهرين أمام مجلس الأمة، والذين سُمح لهم بالدخول لتقديم مطالبهم لرئيس المجلس "أنور السادات"، وعند تسجيل أعضاء الوفد لأسمائهم عبّروا عن مخاوفهم بأنهم ربما يتعرضون للاعتقال، فأعطاهم رئيس المجلس كلمة شرف بأن أحداً منهم لن يُصاب بسوء، بل والأكثر من ذلك أنه أعطاهم رقم تليفونه الخاص للاتصال به فى حالة حدوث شئ من هذا القبيل.ومع ذلك اتضح أن مخاوف الطلاب كانت لها ما يبررها تماماً ، حيث تم اعتقالهم فى منازلهم فى نفس الليلة(٤٦)، كما اتجهت مظاهرات أخرى من بعض الطلبة إلى جريدة الأهرام، تردد هتافات ضد محمد حسنين هيكل وهتافات عديدة أخرى تنادى بسقوط حكم الفرد وتطالب بالحريات ، وقد نجح أربعة من الطلبة فى دخول مبنى الأهرام وعبّروا عن مطالب المتظاهرين فى عريضة قدموها إلى مكتب هيكل، وكانت تنص على "إن شباب الجامعات يسجّلون اعتراضهم على الأحكام الصادرة فى قضية الطيران، وهم إذ يجددون العهد والبيعة للمناضل جمال عبد الناصر ليتوجهون إليه باسم الشباب الجامعى أن ينظر فى هذه الأحكام تلبية

لرغبة الجماهير الشعبية "[٤٧].

أما فى مدينة الإسكندرية فقد عُقد ظهر يوم ٢٤ فبراير بمبنى كلية الصيدلة مؤتمر حضره قرابة خمسمائة طالب، وتحدث المجتمعون فى موضوع الأحكام الصادرة فى قضية الطيران، وعدم تناسبها مع جسامة الضرر الذى حل بالقوات الجوية وبالبلاد، وتطرق الحديث إلى تساؤل الحاضرين عما جرى ولا زال يجرى فى البلاد من فساد وإهمال وكبت حريات مع قيام قوانين استثنائية وعدم مصارحة الرأى العام بالحقائق، ولم يقدم أحد إجابة شافية عن هذه التساؤلات[٤٨].

وقرر الحاضرون الاتصال بمدير الجامعة فحضر إلى مبنى الكلية حوالى الساعة الثانية بعد الظهر ومعه السادة: عبد الحليم الأعسر، فؤاد البشبيشى، سعد الوكيل أعضاء المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى بمحافظة الإسكندرية وبهاء الدين الجبيلى أمين الشباب بها، واسترسل الطلبة فى مناقشاتهم وتساؤلاتهم على النحو الذى جرى من قبل، ووجهوا إلى مدير الجامعة ومن صاحبوه العديد من الأسئلة لم يستطعوا الإجابة عليها، واستمهلوا الطلبة إلى حين الاتصال بمستويات عليا، وقرابة الساعة الثامنة مساء فُض المؤتمر بعد أن اتخذ التوصيات الآتية:

أولاً: أن نتيجة محاكمة المسئولين عن كارثة الطيران تعطى انطباعاً بأن المتهمين المقَّدمين إلى المحاكمة لم يكونوا هم المسئولين الحقيقيين عما حدث، فمن هم هؤلاء المسئولون الحقيقيون، وأين هو العقاب الرادع الذى يتناسب مع ما حدث؟!.

ثانياً: إعطاء صلاحية لتنظيم سياسى فعَّال يكون الرادع للانحرافات ولمراكز السلطة وإعادة النظر فى تنظيمات الشباب تنظيماً وتكويناً.

ثالثاً: بالنسبة لأحداث حلوان، المطالبة بمعرفة المسئول الذى أصدر الأمر بإطلاق الرصاص على المواطنين الذين خرجوا يطالبون بحقهم وحريتهم

ويستنكرون نتائج محاكمة هزلية وتوقيع أقصى عقوبة على هذا المسئول.

رابعاً: ضمان حرية الصحافة وحرية النقد البنَّاء وإبداء كل رأى حُر حتى تصل للشعب الأخبار الصحيحة عما يحدث فى البلد وعدم تكرار نشر الأخبار المضللة التى لا تؤدى إلا إلى الشك فى كل شىء[٤٩].

خامساً: لما كانت الثقة بين القاعدة الشعبية والمسئول السياسى: هى الضمان لنجاح أى عمل سياسى، ولما كانت هذه الثقة معدومة بين جماهير الإسكندرية وبين الليثى عبد الناصر (شقيق جمال عبد الناصر، وكان مسئول الاتحاد الاشتراكى بالإسكندرية)، فإن أعضاء المؤتمر يطالبون بتنحيته وتغيير القيادات السياسية التى فقدت الجماهير ثقتها فيها.

سادساً: بالنسبة للتفرغ السياسى فإن حصول المتفرغ على مقابل مادى للعمل السياسى خلق فئات من المرتزقة يكون ولاءهم لمن عيّنهم لا للمبدأ.

سابعاً: يصر المؤتمر على أن تخرج توصياته من الجامعة رأساً إلى رئاسة الجمهورية دون وساطة أى مسئول سياسى.

ثامناً: بالنسبة لتدخل المباحث العامة فى حرية الجماهير، يتساءل أعضاء المؤتمر كيف ينتج الفرد وهو مراقب؟ وكيف يعبِّر الفرد عن آرائه وهو مُراقَب وخاصة بالنسبة لطلبة الجامعات وأعضاء منظمة الشباب؟ كما يتساءل المؤتمرعن سبب أسئلة المباحث العامة عن بعض أساتذة الكلية.

تاسعاً: اتفق أعضاء المؤتمر على أن يعقدوا مؤتمراً آخر لمتابعة هذه التوصيات ووافق مدير الجامعة على حضور المؤتمر القادم وحدد له الساعة السادسة فى مساء السبت الموافق ٢ مارس ١٩٦٨[٥٠].

أحداث المظاهرات فى القاهرة:

واندلعت المظاهرات أيام ٢٥، ٢٦ ، ٢٧ من فبراير فى دوائر قسم الوايلى ومصر الجديدة والظاهر وباب الشعرية والأزبكية وقصر النيل وعابدين والسيدة

والجيزة واشترك بها الآلاف من طلبة جامعتى القاهرة وعين شمس والمدارس الثانوية وآلاف من العمال وغيرهم، وكانت حصيلتها قتل الترزى محمد مصطفى فؤاد يوسف، والعامل سيد أحمد عبد الحميد دياب، وإصابة ٧٧ من الأهالى منهم ١٢ بإصابات طلق نارى ، و٢٤ بإصابات نارية من بندقية رش، و ٤١ بإصابات من ضرب العصى، كما ترددت الهتافات فى المظاهرات تعبيراً عن السخط العام ، كان منها على سبيل المثال[٥١]."وديتوا فين فلوسنا لما اليهود تدوسنا"، "البلد دى بلدنا واللى ماتوا أولادنا" ، "لا انتهازية ولا رجعية"،"يا جمال الشعب ساخط على الأحكام"[٥٢].

وقد جاءت هذه المظاهرات التى كان يمكن أن تهدد القاهرة بحريق جديد، وكان الشعب يتجاوب مع نداءات الطلبة، وهتافهم الباكى" بلادى .. بلادى .. بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى " وهتافاتهم الأخرى الملتهبة بسقوط حكم المعتقلات ثم الهتاف الخطير "٩ يونيو أيِّدناك والنهاردة عارضناك"، "يا جمال للصبر حدود وعشرة يونيو مش حتعود" "يا خالد قول لأبوك ثلاثين مليون كرهوك دى مش عزبة أبوك " " ياشعروای ياسفاح دم الطلبة مش مباح "[٥٣]. وتضّمنت الشعارات التى كُتِبت على جدران كلية الهندسة عبارات مثل "يجب إنهاء حكم المباحث والمخابرات، وتسقط دولة المباحث، تسقط صحافة هيكل الكاذبة، لا حياة مع الإرهاب ولا علم بلا حرية، القضية ليست قضية الطيران بل قضية الحريات "[٥٤].

وعقد الطلبة الذين استشاط غضبهم للقبض على زملائهم اجتماعات موَّسعة، وقرروا تنظيم اعتصام فى كلية الهندسة، بالرغم من قرارالحكومة بتعطيل الدراسة فى يوم٢٥ فبراير، بعد أن صدر قراربإغلاق الجامعات مساء يوم ٢٤ . وكان الاعتصام ـ الذى استمر ثلاثة أيام ـ هو الانتفاضة التى ارتبطت بطلاب الهندسة، بينما كانت الانتفاضة فى سائرأنحاء البلاد آخذة فى الأفول. وتمَّيز اليوم الأول للاعتصام بالإصطدام مع الشرطة التى حاصرت الكلية، وأُلقيت الحجارة على قوات مكافحة الشغب التى انسحبت بعد فترة إلى حديقة

الأورمان لإتاحة الفرصة لاستخدام أشكال أخرى من الضغط على الطلبة، حيث تم استدعاء الأساتذة وأولياء أمور الطلاب لحثّ أبنائهم على التخَّلى عن حركتهم، وثبت نجاح هذا التكتيك فى أخر المطاف، فانخفض عدد الطلاب المعتصمين من ٥٠٠ طالب فى بداية الاعتصام إلى حوالى ١٨٠ طالباً فى نهايته(٥٥).

وكانت صيغة التسوية التى أنهت الاعتصام: هى ما عُرض على الطلبة من خلال وساطة الدكتور إبراهيم جعفر عميد كلية الهندسة جامعة القاهرة، بأن يتقدم الطلاب بمطالبهم إلى رئيس مجلس الأمة حيث تم نقلهم من الكلية إلى المجلس فى رتل (طابور) من سيارات الأجرة، وانعقد الاجتماع المقترح مساء ٢٨ فبراير باعتباره إنهاء للاعتصام، وكان فى واقع الأمر إنهاء انتفاضة فبراير ١٩٦٨ كلها. واتخذ الاجتماع نفسه شكل مناظرة حامية بين وزراء ومسئولى الدولة وأعضاء البرلمان (بحضور رئيس المجلس أنور السادات) من جانب والطلبة من جانب آخر(٥٦) ودار الحوار بين الطلبة والسادات حول إعادة البناء السياسى بين الحكومة و بين الاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة ووسائل الإعلام ومؤسسات الحكم المحلى وبناء الجيش(٥٧).

وأشار الطلبة إلى الجهاز الحكومى الذى تحوّل إلى خراب ويحتاج إلى إصلاح ضخم، وأن القطاع العام تهالك وفيه أخطاء، والوضع الاقتصادى متردى، والحق فى إعطاء الحرية، والصدق فى الصحافة والرأى، وطالبوا بتغيير الدستور، وأن يكون دائما وليس مؤقتاً، وتوقُف وزارة الداخلية والمخابرات عن التدخل فى شئون الجامعات والمدارس واعتقال الطلبة ومنح الحرية للنقابات(٥٨).

ودارت محاورة بين الطلبة وشعراوى جمعة وزير الداخلية فى موضوع الصدام بين الشرطة والطلبة، ثم أراد الطلبة تلاوة بيان باسم الاتحاد العام لطلاب الجمهورية فطالبوا بنشره كاملاً فى الصحف، وتدخل السادات ورفض

نشـر البيـان وقـال أن" المكان لا يسـمح بإمـلاء شـروط " كمـا قـام بعض أعـضـاء مـجلس الشعب بتـأييد الطلبة مثل العضو علوى حافظ ، فقد هاجم على صبرى ووجه كلمته مباشرة إلى شخص عبد الناصر وقال " أننى أقول للرئيس جمال عبد الناصر إبدأ بمن حولك، إبدا بالقادة المتصدرين للعمل السياسى والقيادات السياسية إذ لم تمثل القدوة الصالحة النظيفة، فنحن سائرون إلى الهاوية، يجب أن يقدم الوزراء كشف حساب بما يملكون، ومن أين ملكوه ؟[٥٩] من المؤسف أن من بين القيادات حول جمال عبد الناصر من أسس قصراً بسبعين ألف من الجنيهات وكأننا فى عصر المماليك، وهو فى الوقت نفسه يتصدر القافلة الاشتراكية، يجب أن يعرف أن الولاء الصحيح هو الولاء للشعب، وليس الولاء للأفراد. إننا نواجه أزمة أخلاقية سببها الابتعاد عن الدين والوطنية وهما ركيزتان لأى تقدم وانتصار، لقد سقطت دولة المخابرات(الأمن) ويجب أن تسقط كل دولة داخل دولة. الشعب يجب أن يحكم مصر، ولا يمكن أن نسلم مصر لدكتاتورية طبقة، أين النقاء الثورى؟ ففى كل مكان شلل، محاسيب، قرايب، ناس لفظتهم القوات المسلحة، هذه الصورة هى التى تصنع السخط وتثير القلق، ما معنى أن يبقى وزير فى الحكم ١٥ سنة ؟! يجب أن يخرج قبل أن يحكم الوزارة بشلة "[٦٠]!!

وسُّر حديث علوى حافظ نفوس الطلبة فصفقوا له بحرارة وحماسة، و كان كلامه بمثابة تشجيع لمواصلة الحوار. إلا أن السادات أنهى الحوار بالنظر فى أمور الطلاب لعرضها على الرئيس جمال عبد الناصر[٦١]!.

وكان ذلك اليوم ٢٧ هو يوم محاكمات شمس بدران وزملائه المتهمون بتدبير الانقلاب مع عبد الحكيم عامر، ومحاكمة الفاسدين فى الإدارة العسكرية[٦٢].

وكانت مطالب الطلبة فى الواقع أبعد من أن تنحصر فى مسألة "الأحكام" إذ كانت مطالب الطلاب فى شعاراتهم وبياناتهم ومناقشاتهم مع المسئولين الحكوميين تغطى دائرة أوسع بكثير من القضايا العامة. وعلى سبيل المثال حدد

بيان الطلبة المشاركين فى اعتصام كلية الهندسة بالقاهرة المطالب التالية :الإفراج عن جميع زملائهم المعتقلين ، حرية الرأى والصحافة ، مجلس حر يمارس الحياة النيابية السليمة الصحيحة ،إلغاء القوانين المقيدة للحريات ووقف العمل بها ، إبعاد المخابرات والمباحث عن الجامعات ، التحقيق الجبرى فى حادث العمال فى حلوان ، توضيح حقيقة المسألة فى قضية الطيران ، التحقيق فى انتهاك حرمة الجامعات واعتداء الشرطة على الطلبة(٦٣).

وفى يوم ٢٦ من فبراير قام طلبة جامعة الإسكندرية بمظاهرات فى أنحاء مختلفة من المدينة ثم تجمعوا أمام مبنى إدارة الجامعة بالشاطبى كذلك قامت مظاهرة فى المدينة الجامعية ، وقد ردد المتظاهرون الهتافات الآتية "شعراوى يا سفاح ، لم كلابك يا شعراوى ، صوت الطلبة صوت الشعب ، يا ليثى قول لأخوك أعدمهم يريحوك ، شعراوى يا جبان راحو فين شهداء حلوان ، الإعدام للخونة ، قفلتم الجامعة ليه هم الطلبة عملوا إيه ، تسقط التنظيمات السياسية ، تسقط دولة المخابرات ، تسقط دولة المكاتب ، نطالب بسيادة القانون"(٦٤).

واصطدم رجال الشرطة بالطلبة المتظاهرين ، وأصيب خمسة من الطلبة و١٢ من رجال الشرطة بإصابات طفيفة ، وقبض رجال الشرطة على ٥٧ شخصا من بينهم ١٢ طالباً(٦٥).

وأعد بعض طلبة كليتى الصيدلة والهندسة، منشوراً فى يوم ٢٦ من فبراير لكنهم عدلوا عن توزيعه وأحرقوه فى اليوم التالى ، وجاء فى المنشور " أيها الأخ المصرى لقد اجتازت البلاد فترة عصيبة من الفساد وتلا ذلك حكم لا يقوم إلا على المصلحة الفردية وها أنت يا أخى على دراية تامة بالأحداث التى تمر بها البلاد، وأن كنت يا أخى ترضى بأن يكون مصير كل حر جدران المعتقلات فلن ترفع مصر رأسها بعد اليوم ، إننا نحن طلبة الجامعات نطلب منك أن تفرع صوتك بجانبنا إذا كنت أحد الذين تضمهم جدران المعتقلات "(٦٦).

وتوالى صدور المنشورات بعبارات تحمل المعانى السابقة الذكر ، وعلى

سبيل المثال ضبط فى يوم ٢٩ من فبراير (المحضر رقم ١٩٦٨/١٦٤ حصر أمن الدولة) منشور حرره طلبة المعاهد العليا حقوق "البيان الأول" خاطب جماهير الشعب بقوله " إن القائمين على الحكم فيهم كثير من الوصوليين والانتهازيين ، وأن الأنظمة السياسية فى الدولة فسدت ، وأنه يجب على الجماهيررفع الأصوات الثائرة لبناء جهاز سياسى ديمقراطى قوى، والمطالبة بالحرية والجدية فى التطبيق الاشتراكى وتطهير الثورة من النفعيين "[٦٧].

وضبط فى ٩ مارس منشور آخر (المحضر رقم ١٩٦٨/١٧٨ حصر أمن الدولة) حرره طلبة جامعات القاهرة وعين شمس والأزهر ، يطالب " بتنحية وزير الداخلية والوزراء العسكريين وإسقاط عضوية المنحرفين من أعضاء مجلس الأمة وإطلاق الحريات وإعادة التحقيق فى أسباب النكسة وحوادث حلوان مع إجراء محاكمات علنية "[٦٨].

وقد قامت مظاهرات أخرى فى الوجهين البحرى والقبلى (القليوبية -الغربية -الدقهلية -أسيوط-أسوان) تحمل الطابع نفسه وتردد مثل الهتافات السابقة فى جامعتى المنصورة وأسيوط[٦٩].

ومن طريف ما يذكر فى هذا الموضوع أن الرئيس "جمال عبد الناصر" تساءل فى إحدى جلسات مجلس الوزراء عن الروح التى سادت هذه المظاهرات وعن الهتافات التى رددت فيها، فسارع شعراوى جمعة إلى القول أن المظاهرات: كانت تسودها الروح الموالية للحكومة، وأن الهتافات كانت تؤيد رئيس الجمهورية ووزرائه ونظام الحكم ، ولم يتمالك عصام حسونة وزير العدل نفسه إزاء هذا التضليل فتساءل إلى متى يغرر الوزراء برئيس الجمهورية ويخدعونه عن الواقع؟! وقال أن المصلحة تقتضى مصارحته بحقيقة ما حدث، وتلا من مذكرة كان قد حررها المستشار محمد عبدالسلام النائب العام وورد فيها ما ثار من هتافات وأفعال من المظاهرات، ورفُعت المذكرة لرئيس الجمهورية، ولكن ما حصل بعد ذلك هو إعفاء وزير العدل من منصبه فى أول تعديل وزارى وحل محمد أبونصير محله[٧٠].

فقد تبين من التحقيق أن المقبوض عليهم كانوا يجمعون من الطرقات والمتاجر، بل ومن المنازل لمجرد الإيهام بأن عددا من المتظاهرين ، قد أمكن ضبطهم ، وفوجئ أعضاء النيابة بأكداس من الطلبة والعمال وغيرهم من المواطنين يقدمون إليهم كمتهمين دون أن يدرى أحد من رجال الشرطة - بإقرارهم فى التحقيق - شيئاً عن أوقات أو أمكنة أو ظروف ضبطهم ، بل لم يستطع أى من رجال الشرطة الشهادة بأن المتهمين أو بعضهم ضبط أثناء التظاهرأو الهتاف أو التعدى أو فى أى ظرف يقوم دليلاً على مسئوليته عما وقع، ولم يسع النيابة إزاء هذا التجهيل إلا الأخذ بدفاع المتهمين القائم على أنهم لم يشاركوا فى المظاهرات، وأنهم ضبطوا فى منازلهم أو أثناء سيرهم فى الطرقات أو وجودهم فى بعض المتاجر والأماكن العامة[٧١]، هذا إلا أن الكثير من المقبوض عليهم كانوا من الطلبة صغار السن، كما أن ظروف التظاهر والدوافع إليه كانت التنفيس عن الألم والظلم والفساد[٧٢]. والذى حز فى النفوس من جراء النكبة مع عدم ظهور أية بادرة جديدة لإصلاح أسلوب الحكم الذى أدى إليها، وكل ذلك كانت مبررات كافية للإفراج عن هؤلاء المتظاهرين، إلا أن وزير الداخلية شعراوى جمعة تصدى لقرار الإفراج، إذ أمر بزج عدد كبير من الطلبة المفرج عنهم فى المعتقلات، ولم يتورع بعد ذلك عن أن ينتحل لنفسه وللحكومة فخر الإفراج. وأن يصرح بذلك أمام أعضاء مجلس الأمة من أجل تهدئة الرأى العام.

وأن تفاخر وزير الداخلية بقرار الإفراج لم يمنعه من إبقاء عدد من الطلبة المفرج عنهم فى المعتقلات والسجون. ولم يكن النائب العام يعلم شيئاً من ذلك إلى أن حدثه الدكتور "حلمى مراد" رئيس جامعة عين شمس آنذاك تليفونياً متسائلاً عن السبب فى بقاء بعض أبنائه من الطلبة مقبوضاً عليهم . وأكد له النائب العام أن أحداً لم يقبض عليه بأمر النيابة العامة فى أى من حوادث التظاهر سواء فى القاهرة أو الإسكندرية أو الأقاليم وسواء من الطلبة أو العمال وأندهش رئيس الجامعة من ذلك إذ أن بعض الطلبة لم يعودوا إلى أهاليهم. ولكن

انكشف الأمر بعد بيان وزير الداخلية بأنه أمر بإيداع الطلبة فى المعتقلات[٧٣].

ولا ريب أن فهم جوهر مطالب الطلاب يعد أمراً ضرورياً لفهم تلك المظاهرات. حيث حاولت الحكومة الزعم بأن تلك المطالب ترتبط أساساً بقضية الضباط الذين أخلوا بواجباتهم، وبعد مناقشات مطولة مع ممثلى الطلاب، وصف رئيس مجلس الأمة مطالبهم بأنها تتركز فى ثلاث قضايا: الأحكام التى صدرت ضد الضباط ، وتظاهر العمال فى حلوان، وشكاوى الطلاب من سلوك الحرس الجامعى[٧٤].

لم تكن مظاهرات الطلاب فى فبراير ١٩٦٨ مجرد احتجاج على أحكام محكمة عسكرية على مجموعة من الضباط المتهمين بالإهمال ، وإنما هى تعبيراً عن السخط الجارف الذى اجتاح البلاد بعد هزيمة ١٩٦٧، إذ كانت فى الواقع تعبيراً عن عدم الرضا عن أسلوب الحكم بعد الهزيمة العسكرية؛مما يعد ذلك مظهراً من مظاهر السلبية فى النظام [٧٥].

وكان الأثر السياسى للمظاهرات رائعاً فى البلاد ككل وداخل الجامعات خاصة، فعلى المستوى القومى اضطر "عبد الناصر"؛ أن يصدر أمراً بإعادة محاكمة الضباط المتهمين بالإهمال، وتشكيل وزارة جديدة كان أغلبها من المدنيين (٢١) معظمهم من أساتذة الجامعات – وذلك لأول مرة فى عهده . والأمر الأكثر دلالة ، سعيه لتجديد شرعية نظامه من خلال برنامج "٣٠ مارس" بما كان يتضمنه من إصلاحات ليبرالية موعودة فى النظام السياسى[٧٦].

ونجحت المظاهرات فى إزالة عدد من القيود التى كانت تعوق بشدة مجالات النشاط الطلابى فى الجامعة. فبرغم بقاء الحرس الجامعى داخل الحرم إلا أنه لم يعد يتدخل مباشرة فى النشاط السياسى للطلاب ، كما لم تعد لديه سلطة مراقبة المقالات الطلابية المنشورة فى مجلات الحائط ، الأمر الذى جعل من مجلات الحائط، كما ذكر أحد الطلاب "الصحافة الحرة الوحيدة فى مصر"[٧٧].

كما صرح للاتحاد العام لطلاب الجمهورية بإصدار صحيفة طلابية مركزية

وصدرت لائحة جديدة لاتحاد الطلاب بموجب قرار جمهورى منح الطلاب ما كانوا يأملون فيه منذ أمد بعيد. اتحادا طلابياً بلا وصاية من أعضاء هيئة التدريس. كما حصل الطلاب أيضاً على عدد من المكاسب الاجتماعية تخفيض رسوم الإقامة فى المدن الجامعية من سبعة جنيهات ونصف الجنيه إلى خمسة جنيهات، وزيادة مخصصات بنك الطلبة من مليون إلى ثلاثة ملايين جنيه(٧٨).

حوار عبد الناصر مع الطلبة

وكان من أكثر هذه الأهداف المناقشة التى جرت بين عبد الناصر وبين مجموعة من قيادات اتحاد الطلاب بعد الانتفاضة. ففى لقاء كان المقرر له أن يستمر لمدة نصف ساعة، ولكنه استمر إلى ما يقرب من ثلاثة ساعات ونصف الساعة، ناقش ممثلوا الطلاب مع "عبد الناصر" سبعة عشر موضوع كانوا قد أعدوها قبل اللقاء بأكثر من أسبوع، وكانت كلها بخصوص الموقف السياسى الوطنى(٧٩).

ولم يتقدم أى منهم بأى شكوى طلابية، إلا أن "عبد الناصر" هو الذى حثهم عند نهاية اللقاء على شرح مشكلات الطلاب على وجه الخصوص، فتطرقوا للأمر فى إيجاز، مركزين شكواهم على مسألة وصاية الأساتذة على اتحاد الطلاب.

كان الحاضرون فى الاجتماع مع "جمال عبد الناصر" بعد إنهاء الانتفاضة اتحاد طلاب الجامعات، وهم :. "عبد الحميد حسن" عن جامعة القاهرة ، "حلمى نهنوش" عن جامعة عين شمس ، "عاطف الشاطر"(" عاطف خيرت محمد سعد الشاطر" نائب المرشد العام للأخوان المسلمين ، والمعتقل حالياً) عن جامعة الإسكندرية ، "محمد عوض" عن جامعة أسيوط، "منصور ساطور" عن الأزهر، "ومحمد الناظر" عن المعاهد العليا، ويرى "نهنوش" أن "عبد الحميد حسن" هو الوحيد الذى استطاع الوصول إلى قلب "عبد الناصر" وحدث بينهما تفاهم مشترك ، وأثمر ذلك مقالاً كتبه "عبد الحميد حسن" بجريدة الطلاب فى تلك

الفترة يمدح فيه عبد الناصر فوصف الكثير من الطلاب "عبد الحميد حسن" بالانتهازية. وقد عبر أحد الطلاب عن موقفه فى ١٩٦٨ قائلاً "بينما كانت الجماهير الطلابية كلها تسطر صفحة مشرفة فى تاريخ مصر، والحركة – بمختلف اتجاهات من شاركوا فيها – تعزف سيمفونية البطولة والشرف، كان موقف رئيس الاتحاد شاذا.. يعزف بمفرده مقطوعة النفاق الأكبر[٨٠]!.

وشملت المسائل المطروحة للنقاش بين الطلبة وعبد الناصر موضوعات مثل الحرب والهزيمة فى ١٩٦٧، حرب اليمن، الاتحاد الاشتراكى العربى، منظمة الشباب الاشتراكى، أجهزة الأمن ، العلاقات مع الاتحاد السوفيتى، العلاقات مع العرب، الوحدة العربية ، السجون والمعتقلات السياسية، الأحزاب السياسية، الدستور، سيطرة الأمن على الأساتذة والجامعات والطلبة[٨١].

وفى النهاية أكدا لهم "عبد الناصر" بحل المشاكل الطلابية، وعلى الأخص حرية اتحاد الطلاب – وكف تدخل أجهزة الشرطة (الحرس الجامعى) فى شئون الطلبة، وكما أن الثورة من أهم مبادئها تأييد طلابها، وذلك ما أكدته الثورة فى ندائها للطلبة يوم ثورة ٢٣ يوليو، وذكرهم بمنشور ثورة يوليو الخاص بالطلبة[٨٢].

ففى أعقاب الحركة الطلابية التى تفجرت فى فبراير عام ١٩٦٨ أسرع الرئيس "عبد الناصر" بطرح "بيان ٣٠ مارس "الذى وعد فيه بالأخذ ببعض هذه المطالب ، و تجديد النظام السياسى وتمثلت فكرة إعادة انتخاب مؤسسات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة إلى القمة ، بل وسريعاً ما تأكد أن استجابة النظام السياسى للضغوط الهادفة لتجديده من الداخل ما كانت سوى حركة التفاف واسعة حول القوى الوطنية من أجل الصمود لتحرير الأرض[٨٣].

وبالنظر إلى الفترة ما بين وقوع الهزيمة فى يونيو عام ١٩٦٧ حتى انتفاضة نوفمبرعام ١٩٦٨ يمكن تلخيص تغير فى النظام السياسى فى النقاط التالية:

- تمكن الرئيس "عبد الناصر" من التخلص من مراكز القوى داخل القوات المسلحة ، وهى مراكز عطلت طويلاً تحسين الكفاءة القتالية للجيش وشاركته

السلطة من الناحية الفعلية، فأدى ذلك إلى الانتقال من جيش سياسى مدنى إلى جيش عسكرى ، وضاعف من تمركز السلطة فى رئيس الدولة بعد أن كانت موزعة بينه وبين " عبد الحكيم عامر " ، كما قننه دستور ١٩٦٤ (٨٤) .

- إعادة بناء الاتحاد الاشتركى من القاعدة إلى القمة، بدون أدنى أثر إيجابى لا على شعبية هذا الاتحاد ولا على تكوينه التنظيمى السياسى ولا على قدرته على تنظيم حركة الجماهير وإتاحة فرص أفضل للحريات السياسية.

- انفضام العلاقة الوطيدة بين الأجيال الشابة من ناحية والنظام السياسى من ناحية أخرى، وهو ما حدث لأول مرة منذ عام ١٩٥٤، مما ضاعف من أهم نتائج هزيمة ١٩٦٧، وهى اهتزاز مشروعية النظام السياسى

لقد مثلت الحركة الطلابية فى فبراير ١٩٦٨ تعبيراً شبابياً، عن أزمة جيل ١٩٦٧ ؛ كان السبب فيه النظام السياسى، وكان التفاعل الصدامى بين الطرفين مؤذناً بتجاوز الهيمنة الأيدولوجية والسياسية للنظام على جيل الشباب، حسبما أبرزذلك الفرق بين تأييد النظام فى ٩ ، ١٠ يونيو١٩٦٧، والتمرد على النظام فى فبراير ١٩٦٨، وقد مثل ذلك نوعا من الانتقال من حال إلى حال فى ديناميات النظام السياسى(٨٥).

الهوامش

(١) شهدى عطية : تطور الحركة الوطنية المصرية (١٨٨٢- ١٩٥٦) القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٤٣ -٤٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) محمد كمال يحيى : دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، القاهرة ، د. ت. ، ص٢١٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢١٦ .

(٥) سعد زغلول : مجموعة خطب وأحاديث وبيانات وترجمة حياة سعد زغلول باشا وردوده على جماعة المنشقين ، القاهرة ، د. ت ، ص ٤٤-٧٧ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٨٠-٨٢ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٩٥ - ١٠٦ .

(٨) عبد الرحمن الرافعى : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٧٤ .

(٩) عبد الرحمن الرافعى : ثورة مصر ١٩١٩ ، ج١ ، ص ١٠١-١٠٨ .

(١٠) مضابط مجلس النواب ، الجلسة ٦١ ، أول يوليو ١٩٢٤ ص ٧٥٩ - ٧٧٢

(١١) جريد ة المقطم ٢٦ ستمبر ١٩٤٥

(١٢) محمد كمال يحيى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦-٢٥٢ .

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) جريدة وادى النيل٣٠ يناير ١٩٤٦ .

(١٥) ذات المرجع ١٣ فبراير ١٩٤٦ .

(١٦) ذات المرجع ١٥ فبراير ١٩٤٦ .

(١٧) F.o.371/62990/ 1947

(١٨) .F. o 371/62991 /1947

(١٩) F.o.371/62990/ 1947

(٢٠) F.o.371/62990/ 1947

(٢١) F.o. 371/62991 /1947

(٢٢) عبد العظيم رمضان : تاريخ الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩٣٧-١٩٤٨ ، ج٢، بيروت ، د.ت، ص٢٣٤-٢٥٤

(٢٣) F.O. 371/102 703/ 1953

(٢٤) أحمد عبد الله : ردفعل الشباب إزاء الهزيمة القومية ، حرب يونيو ١٩٦٧- بعد ٣٠ سنة تحرير: لطفى الخولى ، الأهرام ١٩٩٧ ، ص٢٣ .

(٢٥) المرجع السابق ، ص٢٤ .

(٢٦) Nadav Safaran, From War to War, Pegasus ,New york,1969,p. p .12-14

(٢٧) محمد حسنين هيكل : الانفجار ١٩٦٧ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٠، ص٤٢ .
(٢٨) طه المجدوب : هزيمة يونيو من النكسة إلى الاستنزاف ، دار الهلال ١٩٨٨، ص ١٦ .
(٢٩) أحمد عبد الله : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٣٠) المرجع السابق .
(٣١) محمد حسنين هيكل : المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(٣٢) سامى شرف : سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر، الكتاب الثانى، مدبولى ٢٠٠٦، ص ٥٢٩ .
(٣٣) أحمد عبد الله ؛ أحمد بهاء الدين : الحركة الطلابية الحديثة فى مصر، تجربة ربع قرن . مركزالجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية ، القاهرة ١٩٩٤ ، ص ١٦ .
(٣٤) المرجع السابق ، ص ١٦-١٧ .
(٣٥) صلاح الدين الحديدى ، شاهد على حرب ١٩٦٧ ، القاهرة ١٩٧٥، ص ١٣ .
(٣٦) محمد عبد السلام: سنوات عصيبة (ذكريات نائب عام) دار الشروق، الطبعة الثانية ١٩٧٥، ص ١٢١ .
(٣٧) المرجع السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ .
(٣٨) لجنة تسجيل وثائق ثورة يوليو : التنظيم الشبابى ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٤٣ .
(٣٩) تقارير وزارة العدل : تحقيق رقم١٩٦٨/٢١/٦٧١ ملف ١٩٦/٢ ، مركز الدراسات القضائية .
(٤٠) أحمد عبدالله ، أحمد بهاء الدين: المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٤١) لجنة تسجيل وثائق ثورة يوليو: التنظيم الشبابى، ص ١٤٧ .
(٤٢) Nadav Safaran ; op,cit, p. p.17-18.
(٤٣) Ibid
(٤٤) وائل عثمان: أسرار الحركة الطلابية – هندسة القاهرة ١٩٦٨ – ١٩٧٥ مطبعة مدكور القاهرة ١٩٧٦،ص٢٤ .
(٤٥) الأهرام ، ٢٥ فبراير ١٩٦٨ .
(٤٦) وائل عثمان : المرجع السابق ، ص ٢٨ .
(٤٧) الأهرام ، ٢٥ فبراير ١٩٦٨ .
(٤٨) محمد عبد السلام : المرجع سبق ذكره ،ص ١٢٣ .
(٤٩) نفسه ، ص ١٢٤ -١٢٥ .
(٥٠) تقارير وزارة العدل : تحقيق رقم ١٩٦٨/٢٥/١٥٧ ملف ١٩٦٨/٢، مركزالدراسات القضائية .
(٥١) تقارير وزارة العدل : تحقيق رقم١٩٦٨/٢٦/١٦٢ ملف ١٩٦/٢ ، مركز الدراسات القضائية .

(٥٢) تقـارير وزارة العـدل : تحـقـيق رقم ١٩٦٨/٢٧/١٦٣ ملف ١٩٦٨/٢، مـركـز الدراسـات القضائية .
(٥٣) المصدر السابق .
(٥٤) محمد عبد السلام : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٨-١٣٠ .
(٥٥) وائل عثمان : مرجع سبق ذكره ،ص ٢٩
(٥٦) أحمد عبد الله : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ .
(٥٧) وائل عثمان : مرجع سبق ذكره ، ص٣٣ .
(٥٨) موسى صبرى: وثائق حرب أكتوبر ، ط١، المكتب المصرى الحديث ١٩٧٤، ص١٤٩ .
(٥٩) نفسه : ص ١٥١ -١٥٥ .
(٦٠) نفسه: ص ١٥٦ .
(٦١) أحمد عبدالله ، أحمد بهاء الدين : مرجع سبق ذكره، ص٣٧ .
(٦٢) أحمد عبد الله : مرجع سبق ذكره،ص ٤٣-٤٤ .
(٦٣) محمد عبد السلام : مرجع سبق ذكره ، ص١٢٩ .
(٦٤) المرجع السابق ، ص١٣٠-١٣١ .
(٦٥) تقارير وزارة العدل: تحقيق رقم ١٩٦٨/١٦٤ ملف ١٩٦٨/٢ ، مركز الدراسات القضائية .
(٦٦) تقارير وزارة العدل: تحقيق رقم ١٩٦٨/١٦٤ ملف ١٩٦٨/٢ ، مركز الدراسات القضائية .
(٦٧) تقارير وزارة العدل: تحقيق رقم ١٩٦٨/١٧٨ ملف ١٩٦٨/٢ ، مركز الدراسات القضائية.
(٦٨) تقارير وزارة العدل : تحقيق رقم ١٩٦٨/١٧٨ ملف ١٩٦٨/٢ ، مركز الدراسات القضائية.
(٦٩) محمد عبد السلام : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٩ -١٣٠ .
(٧٠) نفس المرجع السابق والصفحة.
(٧١) نفسه .
(٧٢) نفسه .
(٧٣) وائل عثمان : مرجع سبق ذكره ،ص ٣٣ .
(٧٤) الإهرام ، ١مارس ١٩٦٨ .
(٧٥) المصدر السابق ؛ محمد السيد سعيد : هل الهزيمة غيرت النظام السياسى المصرى ، حرب يونيو ١٩٦٧ - بعد ٣٠ سنة ، تحرير: لطفى الخولى، مركز الإهرام ١٩٩٧ ، ص١٤٨ -١٥٠ .
(٧٦) وائل عثمان: مرجع سبق ذكره ، ص٣٤ .
(٧٧) أحمد عبد الله ، أحمد بهاء : مرجع سبق ذكره، ص٣٣ .
(٧٨) وائل عثمان : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥ .
(٧٩) نفسه .
(٨٠) وائل عثمان : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥ ؛ عبد الحميد فريد: محاضر اجتماعات عبد

الناصر العربية والدولية ١٩٦٧ - ١٩٧٠، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٧٩، ص ١٤٣.

(٨١) أحمد عبد الله : مرجع سبق ذكره ،ص ٤٤ .

(٨٢) هذا المنشور كتب بخط يد "يوسف منصور صديق" ، وكان وقتئذ فى المعتقل ؛ لأنه كان من أنصار "محمد نجيب"- وهو كآلاتى : " نداء إلى طلبة الجامعات" إن الأمة تمر بها أحداث جسام ، ولذلك هى تلتفت إلى أبنائها الإبرار، وتحاول تأييدهم ومؤازرتهم فيما يبذلون من جهود للقضاء على الفساد والانحلال ، ولما كان الاحتفاظ بالحرية أصعب من كسبها فأن مصر اليوم تهيب بأبنائها أن يسارعوا إلى نصرة رجال العاملين فى سبيل أعادة أمجادها. لذلك رأينا أن ندعو طلاب جامعتى فؤاد وإبراهيم للاجتماع فى هيئة مؤتمر عام لاتخاذ القرارات اللازمة لتأييد حركة الجيش المباركة فى صبيحة يوم... فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد فى الساعة ..... "!

(وقد ترك اليوم والساعة هكذا ؛ لأن الثورة لم تحدد اليوم والساعة لأعلان الثورة) انظر- سامى شرف : مرجع سبق ذكره ،ص ١٣١ .

(٨٣) محمد السيد سعيد : هل الهزيمة النظام السياسي المصري حرب ١٩٦٧ بعد ٣٠ سنة مركز الأهرام ١٩٩٧، ص ، ١٤٨ .

(٨٤) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٨٥) وائل عثمان : مرجع سبق ذكره ، ص٣٨ .